

القسم الثاني

رسائل وفتاوى

العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بطين

المتوفى سنة ١٢٨٢

رحمه الله تعالى



طبع بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملاحقاتها

عبد العزيز آل سعود

أيده الله تعالى

الطبعة الأولى في سنة ١٣٤٥

مطبعة المنار بدمشق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه تتوكل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من
شور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل
فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
أما بعد فقد جرت مناظرة بيننا وبينكم في كلام الله تعالى هل هو
مخلوق أم لا . فذكرت أن الاختيار كم الوقف فلا تقولون مخلوق ولا غير
مخلوق ، وزعمت أن الخلاف في ذلك لفظي .

فأما قولكم إن الخلاف في ذلك لفظي فليس الأمر كذلك ، وإنما
يقال الخلاف لفظي بين المعتزلة والاشاعرة ، لأن المعتزلة يقولون كلام الله
مخلوق ، والاشاعرة يقولون ليس بمخلوق والكلام عندهم المعنى ويقولون
الحروف مخلوقة ، فقالت المعتزلة لا خلاف بيننا وبينكم لأن الكلام هو
الحروف فإذا أقررتم بأن الحروف مخلوقة ارتفع النزاع فيكون الخلاف
بين الفريقين لفظياً

وأما مذهب أهل السنة والجماعة فهو مخالف للمذهبين خلافاً معنويًا
لأنهم يقولون كلام الله غير مخلوق والكلام عندهم اسم للحروف والمعاني
فتميز بذلك غلط من قال إن الخلاف في ذلك لفظي . ومذهب أهل
التوحيد والسنة أن الله يتكلم بحرف وصوت وأن القرآن كلام الله حروفه

ومعانيه ، وأن موسى سمع كلام الله منه بلا واسطة والقرآن والسنة يدلان على ذلك دلالة صريحة والله الحمد والمنة قال الله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) الى قوله (وكلم الله موسى تكليماً) ففرق بين الإيحاء المشترك وبين التكليم الخاص وقال تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) وقال تعالى (يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) وقال تعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) وقال تعالى (ولو ان مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) وقال (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) وقال تعالى (أفنظّمون أن يؤمنوا الهم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) وقال تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) والآيات في ذلك كثيرة

وأما السنة فأكثر من أن تحصى منها أمره صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة بكلمات الله في عدة أحاديث ، وقوله صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجان » فمن قال إن الله لا يتكلم فقد رد على الله ورسوله وكفره ظاهر

وقد ذكرتم ان العرب يضيفون الفعل الى غير الفاعل فهذا لا ينكر أعني وجود المجاز في لغة العرب . وأما وقوع المجاز في القرآن فقيه خلاف بين الفقهاء حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية وذكر ان أكثر الاثمة لم يقولوا ان في القرآن مجازاً ، ورد القول بوجود ذلك في القرآن واستدل له بأدلة كثيرة وعلى تقدير جواز وجوده في القرآن ، فمن المعلوم انه لا يجوز

صرف الكلام عن حقيقته حتى تجمع الامة على انه أريد به المجاز اذ لا سبيل الى اتباع ما أنزل الينا من ربنا الا على ذلك ، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل أحد ما ثبت شيء من العبادات ولبطلت العقود كلها كالانكحة والطلاق والاقارب وغيرها ، وجلّ الله أن يخاطب الامة الا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين . وأيضاً فالكلام اذا قام الدليل على ان المتكلم به عالم ناصح مرشد قصده البيان والهدى والدلالة والايضاح بكل طريق وحسم مواد اللبس ومواقع الخطأ ، وان هذا هو المعروف المؤلف من خطابه ، وانه اللائق بحكمته لم يشك السامع في أن مراده هو ما دل عليه ظاهر كلامه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في أثناء كلام له . ومعلوم بانفاق العقلاء أن المخاطب المبين اذا تكلم بمجاز فلا بد أن يقرن لخطابه ما يدل على ارادة المعنى المجازي فاذا كان الرسول المبلغ المبين الذي بين للناس ما أنزل اليهم يعلم ان المراد بالكلام خلاف مفهومه أو مقتضاه كان عليه أن يقرن لخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يرد له اسما اذا كان لا يجوز اعتقاده في الله فانه عليه أن ينههم عن أن يمتقدوا في الله مالا يجوز اعتقاده واذا كان ذلك مخوفا عليهم ولو لم يخاطبهم بما يدل على ذلك فكيف اذا كان خطابه هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد الذي تقول النفاة هو اعتقاد ياطل — الى أن قال : وهذا كلام مبين لا مخلص لا أحد عنه انتهى .

وأيضاً فالادلة الدالة على أن الله يتكلم حقيقة أكثر من أن يمكن ذكرها ها هنا منها ان الله سبحانه فرق بين الايماء المشترك بين الانبياء وبين التكليم الخاص لموسى فقال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى

نوح والنبين من بعده) الى قوله (وكلم الله موسى تكليماً) فلو لم يكن موسى سمع كلام الله منه بلا واسطة لم يكن له مزية على غيره من الرسل ولم يكن في تخصيصه بالتكليم فائدة ولم يسم كليم الله وقد قال تعالى (ياموسى اني اصطفيتك على الناس رسالاًني وبكلامي) وأيضاً فقد قال القراء إن الكلام إذا أكد بالمصدر ارتفع المجاز وثبتت الحقيقة ، وقد أكد الفعل بالمصدر في قوله (وكلم الله موسى تكليماً) وقال تعالى (واذا نادى ربك موسى) وقال (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجياً) وقال (فلما أتاها نودى ياموسى ايني انا ربك) وقال تعالى (فلما أتاها نودى من شاطيء الواد الايمن) الآية فقي هذا ونحوه دلالة صريحة أن الله كلم موسى وناداه بنفسه بلا واسطة ، وموسى سمع كلام الله ونداه لانه لا يجوز لغير الله أن يقول (ايني انا الله رب العالمين) وقد ذكر الامام أحمد رضي الله عنه في كتاب الرد على الجهمية عن الزهري قال لما سمع موسى كلام الله قال يارب هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك ؟ قال نعم ياموسى هو كلامي وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الالسن كلها وأنا أقوى من ذلك ، وانما كلمتك بقدر ما يطيق بدنك ، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت . فلما رجع موسى الى قومه قالوا صف لنا كلام ربك . فقال سبحان الله وهل أستطيع أن أصفه لكم . قالوا فشببهه ، قال هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلوة سمعتموها فكانه مثله

وروى عبد الله بن أحمد في كتاب السنة قال حدثني محمد بن بكر قال أخبرنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال قال بنو اسرائيل لموسى

بم شبهت صوت ربك حين كلمك من هذا الخلق؟ قال شبهت صوته بصوت الرعد حين لا يترجم. وأيضاً في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا شيئاً قدمه ، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى الا شيئاً قدمه ، ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفلح » وروى جابر بن عبد الله قال : لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر « ألا أخبرك ما قال الله لا ييك ؟ » قال بلى . قال « وما كلم الله أحداً الا من وراء حجاب وكلم أباك كنفاحا قال يا عبد الله تمن علي أعطك . قال يارب تحبيني فاقتل فيك ثانية . قال انه سبق مني انهم اليها لا يرجعون . قال فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) رواه ابن ماجه وغيره . ففي هذين الحديثين ما يبطل دعوى مدعى المجاز ويدحض حجته ويرغم أنفه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه » يعني القرآن . وقال خباب بن الارت ياهنتاه تقرب الى الله بما استطعت فلن تتقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرئ عليه قرآن مسيلة الكذاب فقال ان هذا كلام لم يخرج من الّ يعني رب فوضح بما ذكرناه ان الله يتكلم حقيقة وان من ادعى المجاز بعد هذا البيان فقد شاق الله ورسوله (ومن يشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)

فصل

وقد ذكرتم ما استدل به بعض المعتزلة على ان كلام الله مخلوق وهو قوله تعالى (هو الاول والآخر) ولا يشك من له عقل أن من دل الخلق على ان كلام الله مخلوق بقوله (هو الاول والآخر) لقد أبدت النجعة وهو إما ملغز وإما مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين وقد قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » مع انه ليس في هذه الآية شبهة لمن احتج بها فله الحمد والمنة ولا يشبه بها الا من أزاغ الله قلبه على رعاك الناس ، نسأل الله العافية .

وقلم الحروف يلزمها التعاقب ويتقدم بعضها بعضا فيلزم أن تكون مخلوقة . قلنا انما يلزم التعاقب في حق من يتكلم من الخارج ، والله سبحانه غير موصوف بذلك . وأيضا فواجب على كل مكاف التسليم لما جاء في الكتاب والسنة ولا يعارضه بزخارف المبطلين وهذيان الملحدين ، قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فمن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم

فصل

وقلم إن القول بأن القرآن غير مخلوق لم يقله السلف ، وان عدم القول بذلك هو الصواب ، وانه هو اعتقادكم فلا تقولون : مخلوق ولا غير مخلوق . فأما قولكم ان هذا القول لم يقله السلف فلا ندرني من تعني بالسلف عندكم ، فان كان يعني بالسلف عندكم جهداً وجهما وابن أبي ذؤاد واتباعهم كأبي علي الجبائي وأبي هاشم واتباعهم من الجهمية والمعتزلة فصدقتم بأن هؤلاء علم قولوا هذه المقالة وإنما قالوا القرآن مخلوق وابتدأ لمن كان هؤلاء سلفه ، واستبدل سبيلهم بسبيل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وما عوض لنا منهاج جهنم بمنهاج ابن آمنة الامين

وان كان يعني بالسلف عندكم الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام الذين لهم لسان صدق في الامة الذين رفع الله قدرهم ، وأعلى منزلتهم ، الذين هم سلف الامة حقاً ، فأخطأتم في نسبة عدم القول بذلك اليهم فانهم كلهم مجمعون على ان القرآن كلام الله غير مخلوق . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القرآن ليس بمخلوق ولا مخلوق ولكنه كلام الله منه بدأ واليه يعود . ذكر هذا الكلام عن علي الشيخ الحافظ عبد الغني المقدسي ، وذكر أيضاً عن عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس انهما قالوا القرآن كلام الله منه بدأ واليه يعود .

فقولهم رضي الله عنهم منه بدأ أي هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لده ليس هو كما تقول الجهمية انه خلق في الهواء أو غيره أو بدأ من عند غيره . وأما اليه يعود فانه يسرى به في آخر الزمان من المضاحف

والصدور فلا يبقى منه في الصدور كلمة ولا في المصاحف منه حرف .
وقال سفيان بن عيينة سمعت عمرو بن دينار يقول أدركت مشايخنا
والناس منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا
واليه ، يهود . رواه محمد بن جرير وهبة الله بن الحسن الطبرياني في كتاب
السنة لهما . وقد أدرك عمرو بن دينار أبا هريرة وابن عباس وابن عمر
وغيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فهذا يدل على شهرة القول
بذلك في زمن الصحابة الذين ادركهم عمرو بن دينار ، وعلى شهرته عند
التابعين ، وانهم كلهم على ذلك . وقال البخاري حدثنا سفيان بن عيينة قال
أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون القرآن
كلام الله غير مخلوق ، فعمر بن دينار حكاه عن مشيخته والناس ، وسفيان
حكاه أيضا عن مشيخته ، فهذا صريح في الدلالة على اشتهار هذا القول
في القرون التي أتى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وكلام أئمة الاسلام
في ذلك أكثر من أن يمكن ذكره هنا كأبي حنيفة ومالك والاوزاعي
والليث والثوري والشافعي وابن المبارك واحمد واسحاق وأبي عبيد
والبخاري وغيرهم من أئمة الحديث وكلهم على ذلك مجمعون ولكتاب
ربهم وسنة نبيهم متبعون

وحكي غير واحد الاجماع على ذلك . قال الامام أبو محمد عبدالرحمن
ابن أبي حاتم سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين
وما أدركا عليه العلماء في جميع الامصار حجازاً وعرافاً ومصرأً وشاماً ومينا
فكان في مذاهبهم أن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والقرآن
كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته ، والقدر خيره وشره من الله وان الله

تعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله
بلا كيف أحاط بكل شيء علما، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير
وقد ذكرتم أن بعض السلف قال بخلق القرآن كابن المديني فلا
شك أن ابن المديني وابن معين وغيرهما من أئمة الحديث أجابوا في المحنة
كرها واعتذروا بالاكرام لما عاب عليهم الأئمة وهجرهم الامام أحمد ولم
يمذرم واحتج عليه ابن معين بعمار رضي الله عنه حين أكرهه أهل مكة على
كلام الكفر ورد عليه أحمد بأن قال إن عماراً ضرب وأنتم قيل ليكم يريد
أن نضربكم ومن المعلوم أنه لم يثبت في المحنة الا القليل والاكثر ون أجابوا
مكروهين ومن نسب القول بذلك الى ابن المديني أو غيره من أهل الحديث
بعد تصريحهم بأنهم انما أجابوا كرها فقد قال ما لا يعلم ونسب اليهم
ما هم براء منه وذكرتم أن ابن علي قال بذلك فهذا لا ينكر وابن علي معروف
عند أهل السنة بالبدعة وكلام الأئمة في ذمه كثير والبخاري وإن روى
عنه فهو عنده من أهل البدع وقد روى البخاري عن غيره من أهل البدع
لان الرجل اذا عرف منه الصدق والاتقان لما روى جازت الرواية
عنه ولا يخرج ذلك عن كونه مبتدعا قال البيهقي في مناقبه ذكر الشافعي
إبراهيم ابن علي فقال أنا مخالف له في كل شيء وفي قول لا إله الا الله لست
أقول كما يقول أنا أقول لا إله الا الله الذي كلم موسى من وراء حجاب
وذلك يقول لا إله الا الله الذي خلق كلاما أسمعه موسى من وراء حجاب
وأما قولكم ان الصواب في هذه المسألة الوقف وأنه هو اعتقادكم
لا تقولون مخلوق ولا غير مخلوق فمضمون هذه المقالة أن الله يجب منا
أن نتقف موقف الحيارى الشاكين ونبقى في الجهل البسيط لانعرف الحق

من الباطل ولا الهدى من الضلال (مذبذبين بين ذلك لالى هؤلاء ولا الى هؤلاء) وان الله يحب عدم العلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويجب منا الحيرة والشك ومن المعلوم ان الله لا يحب الجهل ، ولا الشك ، ولا الحيرة ، ولا الضلال ، وانما يجب الدين والعلم واليقين وقد ذم الله الحيرة بقوله تعالى (قل اندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران) ومن المعلوم انه لا بد أن يكون كلام الله في نفس الامر مخلوقا أو غير مخلوق لا غير وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتقد أحد الامرين لا غير واذ كان الامر كذلك فلا بد أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد دل أمته على ما يعتقدونه من ذلك قال صلى الله عليه وسلم «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك» وقال فيما صح عنه أيضا «ما بعث الله من نبي الا كان حقا عليه ان يدل امته على خير ما يعمله لهم وينهاهم عن شر ما يعمله لهم» وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقرب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما . محال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وإن دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة ان لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة

فقد علم ما سيكون ثم قال « اني تارك فيكم ما لان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله » فالرب سبحانه وتعالى عالم بما سيقع من التنازع فقال (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) ومن المحال أن يأمرهم برد ما تنازعوا فيه الى ما لا يفصل النزاع ويبين الحق من الباطل وقد أمرنا الله سبحانه أن نقول (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام من الليل يصلي (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » فهو يسأل ربه أن يهديه لما اختلف فيه من الحق فكيف يكون محبوب الله عدم الهدى في مسائل الخلاف وقد قال الله له وقل (رب زدني علما) وأيضا فالشك والخيرة ليست محمودة في نفسها بل اتفاق المسلمين غاية ما في الباب أن من لم يمكن عنده علم بالنفي ولا الاثبات يسكت فأما من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس للوائف الشاك الخائر أن يتكبر على هذا العالم المتبع للرسول العالم بالمتقول والمعقول قال الامام أحمد رحمه الله من لم يقل : القرآن كلام الله غير مخلوق فهو يقول مخلوق والامر كما قال رحمه الله فانا نجد بعض من يقول بالوقف يعيب على من ينفي الخلق عن كلام الله ويمنحج عليه بحجج القائلين بالخلق كما أوردتم شيئا من ذلك وغبتم على الامام أحمد رحمه الله في كلامه في هذه المسألة قلت ان أحمد جعل هذه المسألة عديلة التوحيد قلت ذلك اتباعا لمن استوفى نصيبه

من الحق والجهل صاحب الكتاب المسمى بالعلم الشامخ وقد عاب في كتابه ذلك على الامام أحمد ونسبه الا التعصب وطعن أيضا على غيره من أئمة الحديث وأهل السنة ولقد أحسن القائل :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأبي فاضل .
 فلو أن هذا المسكين أمسك لسانه عن تنقص أئمة الاسلام لكان
 أستر له وهو لم يضر الانفوسه، لا يضرهم كلامه كما قيل :
 وهل حط قدر البدر عند طلوعه كلاب اذا ما أنكرته فهرت
 وما إن يضر البحر أن قام أحق على شطه يرمي اليه بصخرة
 والذي ينبغي لهذا وأمثاله اذ هجمت بهم ذنوبهم عن استبانة الحق
 ان يمسكوا ألسنتهم عن عيب اهل السنة والطنع عليهم ويلجؤا الى الله
 في سؤال الهداية نسأل الله ان يهدينا واخواننا المسلمين الصراط المستقيم
 صراط الذين انعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

فصل

وقد ذكرتم قول الجهمية أن موسى لم يسمع كلام الله منه انما سمعه
 من غيره من الشجرة أو غيرها لان الكلام لا يكون الا من جوف وقرن
 ولسان وشفقتين

فاما قولكم ان موسى لم يسمع كلام الله منه حقيقة وانما سمعه من غيره
 فهذا ظاهر البطلان لانه لا يجوز لغير الله ان يقول (يا موسى اني انا الله
 رب العالمين، يا موسى اني انا ربك فاخلم نعليك انك بالوادي المقدس طوى
 وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني انا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم
 الصلاة لذكري) فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية

والالهية ولو كان كما زعم القائل أن المخاطب لموسى غير الله كان يقول ذلك المخاطب ياموسى ان الله رب العالمين، ياموسى الله ربك لا يجوز له أن يقول انى انا الله رب العالمين انى أنا ربك وهذا مما احتج به الامام أحمد على الجهمية فيآله من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع

واما قولكم ان الكلام لا يكون الا من جوف وفم ولسان وشفيتين فهذا باطل لان الله تعالى قال للسموات والارض اتقيا طوعا او كرها قالت اتينا طائمين اترأها قالت بقم ولسان وشفيتين واجوارخ اذا شهدت على الكافر فقالوا للمشهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي اترأها نطقت باسان وادوات وقال (وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) اترأها تكلمت بجوف وفم ولسان وشفيتين ولكن الله انطقها كيف شاء فكذلك تكلم الله كيف شاء من غير ان يقول بجوف ولا فم ولا لسان ولا شفيتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم «انى لا عرف حجرا كان يسلم على» وسبح الحصافي كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكف أبى بكر وعمر وعثمان وقال ابن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وجاء أن في آخر الزمان يكلم الرجل سوطه ونحو ذلك كثير ولا خلاف في أن الله قادر على أن ينطق الحجر الاصم من غير مخارج فبطل ما ادعوه من أن الحروف لا تكون الا من مخارج ومن الدليل على اتصاف الله بالكلام حقيقة قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده من حليمهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) نبه بهذا الدليل على أن من لا يكلم ولا يهدي لا يصاح أن يسكون الماء وكذلك قوله تعالى في الآية الاخرى عن العجل (أفلا يرون ان لا يرجع

اليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) فجعل امتناع صفة الكلام والتكلم وعدم ملك الضر والنفع دليلاً على عدم الإلهية وهذا دليل عقلي سمعي على أن الإله لا يبدأ بالكلم ويتكلم ويملك لعابده الضر والنفع والالم يكن الها، ومما استدل به أحمد وغيره من الأئمة على أن كلام الله غير مخلوق قوله تعالى (الإله الخالق والامر) قالوا فيما قال الإله الخالق لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلاً في ذلك ثم ذكر ما ليس بمخلوق فقال والامر وأمره هو قوله تبارك وتعالى فلا يكون خلقاً واستدل الإمام أحمد رحمه الله أيضاً على الجهمية لما قالوا إن كلام الله مخلوق فقال وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق فشبهتهم الله بخلقهم حين زعمتم أن كلامه مخلوق فقي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم فتكلم وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاماً فجعلتم بين كفر وتشبيه فتعالى الله عن هذه الصفة ومما يبين أن السلف كانوا يعتقدون أن كلام الله غير مخلوق أنهم أوجبوا الكفارة على من حلف بالقرآن إذا حنث في يمينه وقال بعض الصحابة عليه بكل آية كفارة، سمع ابن مسعود رجلاً يحلف بالقرآن فقال أترأه مكفراً، إن عليه بكل آية كفارة

وقد أجمعوا على أنه لا يجوز الحلف بالمخلوق ولا تنعقد به اليمين، فلو كان القرآن مخلوقاً عندهم لم يميزوا الحلف به ولم يوجبوا على الحالف به إذا حنث كفارة لأنه حلف بشيء مخلوق. وأيضاً من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن اسم الله في القرآن مخلوق فيلزمه أن من حلف بالله الذي لا إله إلا هو لا يحنث لأنه حلف بشيء مخلوق. قال الإمام أحمد

في كتاب الرد على الجهمية ، وزعمت ان اسم الله في القرآن انما هو اسم مخلوق ، فقلنا قيل أن يخلق هذا الاسم ما كان اسمه . قالوا لم يكن له اسم فقلنا قبل أن يخلق العلم أكان جاهلا لا يعلم حتى خلق لنفسه علما ، وكان لا نور له حتى خلق لنفسه نورا ، وكان لا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة ، فعلم الخبيث ان الله قد فضحه وأبدي عورته للناس حين زعم ان الله سبحانه في القرآن انما هو اسم مخلوق . فقلنا للجهمي لو ان رجلا حلف بالله الذي لا إله الا هو كاذبا لا يحنث لانه حلف بشيء مخلوق ولم يحلف بالمخالق ففضحه الله في هذه . وقلنا للجهمي أليس النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخطباء من بعدهم والقضاة والحكام انما كانوا يحقون الناس بالله الذي لا إله الا هو وكانوا مخطئين في مذهبكم انما كان ينبغي للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن بعده في مذهبكم أن يحلفوا بالنبي اسمه الله واذا أرادوا أن يقولوا لا إله الا الله قالوا لا إله الا الذي خلق الله والا لم يصح توحيدهم ، فضحه الله لما ادعى على الله الكذب . وأيضاً فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستعاذة بكلمات الله وأرشد الأمة الى ذلك فقال فيما ثبت في صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم « من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يدخل من منزله ذلك » ففي هذا دليل صريح على ان كلام الله غير مخلوق لان الاستعاذة بالمخلوق شرك ، والنبي صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عن الشرك

فصل

وفد ذكرنا فيما تقدم ان مذهب أهل السنة ان الله يتكلم بحرف
 وصوت فيصفون الله بالصوت والصوت هو ما يتأني سماعه والقرآن
 والسنة يدلان على ان الله يتكلم بصوت قال الله تعالى (فلما أتاها نودي
 من شاطئ الواد الأيمن) الآية وقال تعالى (فلما جاءها نودي أن بورك
 من في النار ومن حولها - الى قوله - يا موسى اني أنا الله العزيز الحكيم)
 وقال تعالى (فلما أتاها نودي يا موسى اني أنار بك) وقال تعالى (واذا نادى
 ربك موسى) وقال (ونادينا من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا)
 والنداء لا يكون الا بصوت ، فدل على انه كلمة بصوت وموسى لم يسمع
 الا الحرف والصوت هذا مما يعلم بالاضطرار وقال تعالى (ويوم يناديهم
 فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون * ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم
 المرسلين) وقال (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) الآية .
 والآيات في ذلك كثيرة

وأما السنة ، ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك
 وسعديك فينادي بصوت ان الله بأمرك أن تبعث بعثا الى النار » الحديث
 وروى عبدالله بن أنيس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول « يحشر الله الناس يوم القيامة - وأشار بيده الى الشام - عراة
 غرلا بهما » قال - قلت ما بهما ؟ قال « ليس معهم شيء فيناديهم بصوت
 يسمعه من بعد كما يسمعه من قُرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لاحد

من اهل الجنة أن يدخل الجنة واحد من اهل النار يطلبه بمظلمة ولا ينبغي لاحد من اهل النار ان يدخل النار واحد من اهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى أقصه منه « قالوا وكيف وانما تأتي الله عراة غرلا؟ قال « بالحسنات والسيئات » رواه احمد وجماعة من الاثمة . وقال عبد الله بن احمد سألت أبي فقلت ان الجهمية يزعمون ان الله لا يتكلم بصوت فقال كذبوا انما يدورون على التعطيل . ثم قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المجاربي ثنا سليمان بن مهران الاعمش قال ثنا ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال اذا تكلم الله بالوحي سمع صوته اهل السماء فيخرون سجداً حتى اذا فزع عن قلوبهم قال سكن عن قلوبهم نادى اهل السماء اهل السماء ماذا قال ربكم . قالوا الحق قال كذا وكذا ذكره عبد الله في كتاب السنة بهذا الاسناد ، ورواه ابو بكر الخلال وروى ابن ابي حاتم في الرد على الجهمية قال أخبرنا ابو زرعة أخبرنا عثمان بن ابي شيبة أخبرنا جرير عن يزيد بن ابي زياد عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال ان الله تبارك وتعالى اذا تكلم بالوحي سمع اهل السموات له صوتا كصوت الحديد اذا وقع على الصفا فيخرون له سجداً فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو البلي الكبير وقد قدمنا ما حكاه الامام أحمد عن الزهري قال لما سمع موسى كلام الله قال يارب هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك قال يا موسى هو كلامي - الى أن قال : فلما رجع موسى الى قومه قالوا صف لنا كلام ربك قال سبحان الله وهل استطيع أن أصفه لكم قالوا فشببهه قال هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أهل خلاوة سمعتموها فكانه مثله وتقدم أيضا . ارواه عبد الله بن أحمد عن محمد بن كعب قال قال

بنو اسرائيل لموسى بمشبهت صوت ربك حين كلمك من هذا الخلق؟ قال
 شبيته بصوت الرعد حين لا يترجم وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد
 الله هدايته (ومن يضل الله فلن تجده له وليا مرشدا) وذكر ابو الفرج
 عبد الرحمن بن الفقيه نجم الدين الحنبلي قال كنت يوما عند القاضي فتناظروا
 في مسألة القرآن وعندنا طرحان الضير فقال لنا اسمعوا مني حكاية
 قلنا هات قال تناظر اشعري وحنبلي فقال الاشعري للحنبلي اخبرني اذا
 وقفك الله غدا بين يديه فقال لك من أين قلت ان كلامي بحرف وصوت
 فاذا يكون جوابك فقال الحنبلي أقول يارب هو ذا أنا أسمع كلامك
 بحرف وصوت قال ثم سكت فلم يرد هذا شيئا فبهت القاضي ولم يدر
 ما يقول وانتطمع الكلام على هذا

واحتج من ينفي الصوت بأن قال الصوت انما هو أنين جرمين والله
 سبحانه متقدس عن ذلك (والجواب) أن يقال فهذا قياس منكم لله على خلقه
 وتشبيهه له بعباده والله تعالى لا يقاس على مخلوقاته ولا يشبه بمصنوعاته
 ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وايضا فانه يلزمهم سائر الصفات التي
 اثبتوها فان العلم في حقنا لا يكون الا من قلب والنظر لا يكون الا من
 حدقة والسمع لا يكون الا من انخراق والحياة لا تكون الا في جسم والله
 تعالى يوصف بهذه الصفات من غير أن يوصف بهذه الادوات فكذلك
 الصوت وإلا فما الفرق؟ واتفق سلف الامة وأئمتها على ان القرآن الذي
 يقرأه المسلمون كلام الله تعالى فالصوت المسموع صوت القاريء والكلام
 كلام الباري فهم يميزون ما قام بالعبد وما قام بالرب تبارك وتعالى ولم يقل
 احد منهم ان اصوات العباد ولا مداد المصاحف قديم مع اتقاهم ان

المثبت بين لوعي المصحف كلام الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
«زينوا القرآن بأصواتكم» فالكلام الذي يقرأه المسلمون كلام الله والأصوات
التي يقرؤون بها أصواتهم فالكلام شيء والصوت شيء آخر هذا مما لا يخفى
على من لم يرسخ التعطيل في قلبه ثم ليعلم ان معة مدنا في اثبات الصفات
على الكتاب والسنة فهما جاء فيهما فهو الحق والصدق لا يجوز التعرّيج
على ما سواه ولا الالتفات الى هذيان يخالفه فان الله تعالى امرنا بالاخذ
بكتابه والافتداء برسوله واخبر عن رسوله انه قال (ان اتبع الا ما يوحى
الي) وقال (اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) وقال سبحانه وتعالى (الذين
يتبعون الرسول النبي الامي - الى قوله - فالذين امنوا به وعندوه ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون) وقال (فليحذر الذين
يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) وهما نحن قد
بيننا ان قولنا في الكتاب والسنة واجماع الامة فهاتوا ان في الكتاب
او السنة او قول صحابي او امام مرضي ان الله لم يتكلم او انه يتكلم مجازا
او ان كلامه مخلوق او انه لا يتكلم بحرف وصوت ولن تجدوا الى ذلك
سيلا فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن العقول الذي تخالف الكتاب
والسنة وقال بقول اهل السنة وترك دين جهنم وشيعته جعلنا الله سبحانه
عمن هدي الى صراطه المستقيم ووفقنا لاتباع رضى رب العالمين والاقناء
بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والسلف الصالحين والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين